ملخص برنامج الخاتمةُ - الحلقةُ ١٦٥
الجزءَ الرابع من ملفِّ الكتابِ والعترة
عُرضت الأربعاء: ٥/ ١١ / ١٤٤٢ هـ - ١٦/ ٦ / ٢٠٢١ م
عبد الحليم الغزّي

• نهايةُ المطاف.

في هذه الحلقة وصلتُ معكم إلى نهاية المطاف، ونهايةُ مطافنا يبدأ بهذا الجزء:

• الجزءُ الأول الَّذي هو خُلاصةٌ وثلاثةٌ أسئلة.

-خُلاصة سريعةٌ لمَا تمَّ عرضهُ وبيانهُ في مجموعة حلقات إعرف إمامك.

حينما أقرأُ الخُطَب التوحيديّة في نهجِ البلاغة الشَريف أتذكَّرُ حادثةً ذكرها شيخنا الكليني في الكافي في الجزء الأوَّل، حادثةٌ مُفصَّلةٌ أشيرُ إلى الجهة الَّتي أتذكَّرها ابنِ أبي العوجاء، عبد الكريم بن أبي العوجاء من كبارِ زنادقة عصر إمامنا الصَّادق، وكذلك ابنُ المقَفَّع، عبد الله بنُ المقفَّع، في سفرٍ لهما إلى الحجاز كلامٌ دار فيما بين عبد الله بن المقفَّع وابن أبي العوجاء عن إمامنا الصّادقِ بعد ذلك ابنُ أبي العوجاء ذهب إلى إمامنا الصَّادق، وطرح تساؤلاته وشُكوكهُ وزندقتهُ وبدأ إمامنا الصَّادقُ يُحدِّثهُ عن الله، بعد ذلك رجع ابن العوجاء رجعَ مذهولاً إلى ابن المقفَّع، أتدرون ماذا قَال لهُ؟ قال لهُ: لقدَ حدَّثني جعفرُ بن مُحمّد، حدَّثني، حدَّثني عن الله حتَّى ظننتُ أنَّهُ سيظهر بيني وبينه، حتَّى ظننتُ أنَّ الله سيظهرُ بيني وبينه في ذلك المجلس، هذا والإمامُ في مقامِ مُحاجَجة معَ زنديقٍ، فماذا تقولون لخُطَبِ عليٍ في التوحيد؟! إذا ما جلسنا معها وتعمَّقنا فيها وتدبَّرنا فيها صدِّقوني المعاني الَّتي ستتجلَّى هي أعمقُ بكثيرٍ من هذا الَّذي تحدَّث عنهُ ابنُ أبي العوجاء وهو يقول لقد حدَّثني جعفرُ بن مُحَمّد وأقام الحُجج حتَّى ظننتُ أنَّهُ - أنَّ الله - سيظهرُ بيني وبينهُ في هذه اللحظة.

فهذه القوالبُ الَّتي وضعها مُعتزلةُ النَّجف (آياتُ الله العظمى)، للتوحيد هي أدلُّ دليلٍ على بُطلانِ توحيدهم، توحيدُ حوزة النَّجف، توحيدٌ معتزليّ صرف، وُضعَ في قوالب مُحنَّطة، لا مجال فيه للتعمُّقِ بأيِّ وجهٍ من الوجوه، ولا يَكذبُ عليكم أساتذتكم ومراجعكم من أنَّهم يُحيطون علماً بالتوحيد العَميق، لَا يفقهون شيئاً منه، كذَّابون هؤلاء، إذا كانوا يملكونَ شيئاً من التوحيد العَميق أين هو؟ في أي كتابٍ ذكروه؟ في أيِّ درسٍ طرحوه؟ ما هُم الآن - أتحدَّثُ عن المراجع الكبار - ما هُم الآن قريبونَ من الموت، إذاً في أيِّ كتابٍ تحدَّثوا عن التوحيد العميق؟ دَرَّسوا مَن مِن الأساتذة حتَّى تسألوا الأساتذة الَّذين دَرَسوا عند هؤلاء المراجع دَرَسوا التوحيد العميق؟

توحيدُ حوزة النَّجف، توحيدُ مراجع النَّجف توحيدٌ لا روح فيه، حاولوا أن تفهموا الأدعيةَ والمناجياتِ الَّتي عندنا وردتنا عنهم صلواتُ الله عليهم، حاولوا أن تفهموها في سياقِ التوحيد الَّذي د رستموه، ستتحوَّلُ هذه الأدعيةُ إلى تبنٍ، إلى خشبٍ مُتعفِّن، لن يبقى فيها شيءٌ من النُّورانيّة ومن الرّوحانيّة، لماذا؟ لأنَّ التوحيد الَّذي تعلَّمتموه قذارةٌ وسخٌ لا علاقة لهُ بتوحيدِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، ما هذه القضايا يُمكنكم أن تُطبقوها بأنفسكم، أنا أتحدَّثُ مع الأساتذة ومعَ الطلبة في الحوزة في حوزة النَّجف، ما تُدرِّسونهُ طَبِّقوهُ على الأدعيةِ والمناجيات، طَبِّقوهُ على الزيارات الشريفة ستتحوَّلُ الأدعيةُ والمناجياتُ والزياراتُ إلى تبنٍ إلى خشبٍ مُتعفِّنٍ لا معنى له، لماذا؟ لأنَّكم تأتون بقذارة وبوسخٍ تُلقونهُ على هذه الأدعية الكريمة، وعلى هذه الزيارات الشريفة.

لكن خذوا مضامين التوحيد الَّتي طرحتُها في هذا البرنامج وافهموا الأدعيةَ والمناجيات والزيارات وفقاً لها ستجدونَ النُّورانيّة مُتدفِّقةً في مضامينِ هذه الأدعية، وستجدون الروحانية والحياة المعنويّة واضحةً تخرجُ إليكم من كُلِّ زاويةٍ من زوايا هذه الأدعية، جرِّبوا جرِّبوا، لا شأنَ لكم بي، المضامينُ الَّتي طُرِحت في هذا البرنامج ما جئتكم بها من جيبي الخاص، إنَّها من قُرآنهم المفسَّر بتفسيرهم، ومن أحاديثهم المشروحة بأحاديثهم، واعتمدتُ لُغةً عربيةً فصيحةً بليغةً في الفهم ما خرجتُ عن قواعد الأدب العربي، فهُم سادةُ الفصاحة وسادةُ البلاغة وأمراءُ الأدب، ما خرجتُ عن فصاحتهم وبلاغتهم وعن أدبهم العالي، ولا أخذتكم بعيداً عن منطق العقلِ الواضح، خُذوا هذه المعاني وافهموا الأدعية والز يارات وفقاً لها، وبعد ذلك جرِّبوا أن تفهموا الأدعيةَ والزيارات وفقاً لهذا الهُراء، لهذا التوحيد المعتزلي الَّذي عليه مراجعكم، هذا توحيدُ القُمامة، توحيدُ المزبلة الَّذي أنتم عليه، هذا الأمر افعلوه بأنفسكم ستجدونَ أنَّ الحياة واضحةً بكُلِّ معالمها، أ تحدَّثُ عن الحياة الدينيّة، عن الحياة العقائديّة ستجدونَ الحياة واضحةً بكُلِّ معالمها في المضامين الَّتي شرحتها لكم ووضعتها بينَ أيديكم في هذا البرنامج فيما يرتبطُ بعقيدة التوحيد، وستجدونَ موت الدين، ستجدونَ الطعمَ الخبيث لمضمونِ عقيدة توحيدكم إذا ما أردتم أن تفهموا الأدعية والزيارات وفقاً لذلك، لا أريدُ أن أتحدَّث كثيراً في هذه الجهة، عليكم أن تعودوا إلى تفاصيل ما عُرِض من شؤونِ عقيدة التوحيد في هذا البرنامج معَ ملاحظة أنَّني لم أتعمّق، عرضتُ حدود عقيدة التوحيد ضمن حدودِ خارطة العقيدة السليمة هذا كُلُّ الَّذي قد قمتُ به.

قلتُ لكم في بداية الحلقة هذه: من أنَّنا وصلنا إلى نهاية المطاف، وهذا هوَ الجزءُ الأوَّل في هذه الحلقة يشتملُ على خُلاصة وثلاثة أسئلة، الخُلاصةُ وقدَّمتها، أمَّا الأسئلةُ الثلاثةَ لا أدري هل سأتمكنُ من الإجابة عليها ولا أعتقدُ ذلك، لأنَّني أرى الوقت يجري سريعاً سأحاولُ أن أُجيب وأنا والوقت، سأختصرُ الأجوبة بقدرِ ما أستطيع.

السؤالُ الأوَّل.

هذه الأسئلةُ اخترتها من أسئلة كثيرة وصلتني أثناء فترة البرنامج، فاخترتُ ثلاثة أسئلة لأنَّني وجدتها مُفيدةً مُهمَّةً ترتبطُ ارتباطاً مباشراً بالَّذي أتحدَّثُ عنه، وكي لا أكون قد أهملتُ كُلَّ الأسئلة معَ اعتذاري الشديد، اعتذاري الشديد لأنَّني لا أملكُ وقتاً للإجابةِ على كُلِّ الأسئلة الَّتي وردت إليّ، لذا اخترتُ أهمَّها من وجهة نظري.

السؤالُ الأوَّل سؤالٌ مُهمٌ، إنَّني ذكرتُ في طوايا حديثي في شؤونِ عقيدة التوحيد من أنَّ هذا العنوان هذا اللفظ (**الله**)، ما يُصطلحُ عليه: (لفظُ الجلالة الله) ، بحسبِ ثقافةِ قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، وثقافةِ حديثهم المفهَّمِ بتفهيمهم فإنَّهُ يُطلقُ على الذَّاتِ الأولى بحسبها، ويُطلقُ على الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة

بحسبها، ويُطلقُ على الإمامِ المعصومِ بحسبه، فمعنى الله حينما نُطلقهُ على الذات الأولى يختلفُ مئة بالمئة عن معنى الله الَّذي يُطلَقُ على الحقيقةِ الـمُحمّديّة، وكلاهما يختلفانِ بدرجة مئة بالمَئة إذا ما أطلقنا لفظ الله على الإمامِ المعصوم.

هذا اللف ظ حين يُطلَقُ على الإمامِ المعصوم المرادُ أنَّهُ وجهُ الله، لكنَّ هذا الإطلاق يُطلَقُ عليه وجئتكم بآياتٍ من الكتاب الكريم وبروايات وأحاديثَ من تفسيرهم لقُرآنهم، مرّ هذا الكلام، وأعتقدُ أنَّ كلامي كانَ واضحاً ودقيقاً جِدّاً، وقد شدَّدتُ على قضيّةِ حفَظ المقامات وعلى قضيّةِ تعدُّدِ الحيثيّات وكُلُّ هذا مرَّ تفصيلهُ وبيانهُ، لا أريدُ أن أُعيدَ مرَّةً أخرى.

السؤالُ الَّذي يسألهُ السائلُ العزيز : من أنَّهُ هل هناك من ضابطةٍ أو قاعدةٍ للتمييزِ والفصل في مُحاولةِ معرفةِ إطلاقِ هذا العنوان في آياتِ الكتابِ الكر يم أو في الأدعيةِ والزيارات، هل هناك من قاعدةٍ من ضابطةٍ نستطيعُ على أساسها نعرفُ أنَّ هذا العنوانَ في هذه الآيةِ (الله) يُرادُ منه الذَّاتُ الأولى، وفي هذه الآيةِ يُرادُ منه الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّة، وفي هذه الآيةِ يُرادُ منهُ الإمام المعصوم؟ هل هناك من ضابطةٍ أو قاعدةٍ نستطيعُ على أساسها أن نُميز ذلك؟ فهل هناكَ ضابطةٌ أو قاعدةٌ للتمييزِ والفصل كي لا يحصل الخلط؟

الجوابُ: للأسف لا نملكُ قاعدةً لُغويّةً وضابطةً لغويّةً لهذا الاستعمال لهذا الأمر، أمرٌ طبيعيٌّ نحنُ نتحدَّثُ في أجواءِ الغيبيّات، نحنُ نتحدَّثُ عن عقيدةٍ غيبيّة، نحنُ نتحَدَّثُ في مضامينَ لا يُمكنُ أن نجد لها ضابطةً لُغويّة.

قد يقولُ قائلٌ: إذاً هذه الفوضى؟!

نعم هي الفوضى ليست بسببِ الدينِ نفسه، هي الفوضى بسببِ تحريف الدين.

آتيكم بمثال وبعد ذلك أكمل حديثي:

هذا العنوان؛ (الصّادق)، هذا العنو ان الصَّادق يُطلَقُ على إمامنا جعفرِ بنِ مُحَمَّد فهو الصَّادقُ، ويُطلقُ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله، النَّبيّ كانَ معروفاً في الجاهليّةِ قبل الإسلام كانَ معروفاً بالصَّادق، وكانَ معروفاً بالأمين، وكانَ معروفاً بالصَّادقِ الأمين، هذه أسماءُ مُحمّد في الجاهليّة عندَ عرب الجاهليّة، فمُحَمَّدٌ هو الصَّادقُ ومُحَمَّدٌ هو الأمينُ، ومُحَمَّدٌ هو الصَّادقُ الأمينُ صلَّى اللهُ عليهِ وآله، فالصَّادقُ مَن أسماءِ مُحَمَّد، والصَّادقُ اسمٌ لامعٌ عَلَمٌ لإمامنا جعفر، والصّادقُ من أسمائهم جميعاً.

القُرآنُ في الآيةِ التاسعةِ بعد العاشرةِ بعد المئة من سورةِ التوبة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِيْن** ﴾، الصَّادقون؛ مُحَمَّدٌ عليّ فَاطمَة، أبناؤها؛ المجتبى إلى القائم، هؤلاء هم الصَّادقون، من خلال البلاغة والأد ب وبحسب الروايات والنصوص، فمن خلال البلاغة والأدب فإنَّ الله سُبحانهُ وتعالى لا يمكنُ أن يُوجب علينا أن نكون مع أُناس يُوصَفون بالصَّادقين مجازاً، يُمكننا أن نَصف المؤمنين عُموماً بالصَّادقين، لكنَّ المؤمنين لا يُوصفون بالصَّادقين حقيقةً، فالصَّادقُ الحقيقيّ هو الَّذي يَكونُ صادقاً في ظاهرهِ وباطنه، يكونُ صادقاً في عمله من الأوَّل إلى الآخر، وفي نيّته، المؤمنُ قد يكونُ صادقاً في نيّته، لكنَّهُ قد لا يكونُ صادقاً في عمله، يتعرّضُ عملهُ للخلل من هنا كانت نيّةُ المؤمنِ خيراً من عمله، الصَّادقُ الحقيقيَ الَّذي لا يُخبِر بأيّ وجه من الوجوه، وفي أيَّة حال من الحالات إلَّا بالصدق المطلق الكامل، إلَّا في حالات الاستثناءات والأولويّات كالتقيّة والمداراة وتلك الحكمةُ، وحينئذ سيكونُ الكلامُ الَّذي يُقال هو الصدقُ بعينه، لأنَّ الصدق يدورُ مدار الحكمة، الصَّادقُ هو الَّذي يكونُ علمهُ صادقاً حقيقياً واقعياً في كُلِّ شيء، يعني أنَّهُ لا يجهل شيئاً، هذه المعاني لا تنطبقُ إلَّا عليهم فقط، ومن هنا فإنَّهُ ليس منطقياً أنَّ الله يأمرنا أن نكونَ دائماً معَ أُناس يمكن أن يكذبوا، يمكن أن يجهلوا، يمكن ويمكن، الصادقون هنا صادقون حقيقيّون، ولذا أُمرْنَا: ﴿ **وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين** ﴾،كُونوا دائماً على طول الخط، فهؤلاء هُمْ هُمْ من اللغة فقط، أمَّا إذا أردنا أن نعود إلى الروايات فالرواياتُ واضحةٌ فيهم، صلواتُ الله عليهم.

في (مفاتيح الجنان)، المقطع العشرون من دعاء الجوشن الكبير: **يَا فَارِجَ الْهَمّ، يَا كَاشفَ الغَمّ، يَا غَافرَ الذَّنْب، يَا قَابِلَ التَّوْب، يَا خَالقَ الْخَلْق، يَا صَادقَ الْوَعْد** - من أسمائه سُبحانهُ وتعالى صادقُ الوعد، فهو صادقُ الوعد، ومُحَمَّدٌ صادقُ الوعد، وجعفر إمامنا صادقُ الوعد، وإمامُ زماننا صادقُ الوعد.

وفي المقطع الحادي والستين من دعاء الجوشن الكبير: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمكَ يَا خَالقُ يَا رَازِق، يَا نَاطِق يَا صَادِق** - يا صادقُ - **يَا فَالقَ يَا فَارِق، يَا فَاتقُ يَا رَاتق - يَا نَاطقُ يَا صَادق** - اللهُ هُوَ الصَّادق، الله هو صادقُ الوعد، هذه أسماء الله.

فالصّادقُ هو جعفر بن مُحمّد، والصّادقُ هو مُحمّدٌ المصطفى أيّامَ الجاهليّة صلَّى الله عليه وآله، والصّادقُ هو الحُجّةُ بن الحسن، والصَّادقُ هو اللهُ، إنَّكم لن تجدوا مشكلةً في التمييز، لماذا؟ لأنَّكم تستطيعونَ أن تستكشفوا ذلك من خلالِ القرائنِ الَّتي تعلمَّتموها في سياقِ ثقافتكم الدينية، فهذا الأمر موجودٌ في ثقافتنا الدينية.

أمَّا بالنسبة لاستعمال هذه اللفظة المقدَّسة (الله) فقد أُخفيَت، المؤسَّسةُ الد ينيّةُ أخفت هذه المضامين، وأنكرتها، لأنَّها في الحقيقة لا علاقة لها بدينِ مُحمّد وآلِ مُحمَّد، جاءونا بدينِ القذارة، بدينِ سقيفة بني ساعدة، جاءونا بتوحيد القُمامة بتوحيد المعتزلة، وتركوا توحيد العترة الطاهرة.

قد يقولُ قائلٌ: المعتزلةُ فيهم حكماء، فيهم فلاسفة لماذا تقولُ عنهم هكذا؟ أنا أُقايسهم بالعترة الطاهرة، شنو معتزلة؟! شنو فلاسفة؟! شنو حكماء؟! شنو بطيخ؟! أنا أقايسهم بالعترة الطاهرة، قمامة كثيرٌ عليهم، نعلٍ مقطّعة كثيرٌ عليهم، من هم هؤلاء؟ أنا أقايسهم بالعترة الطاهرة، أقايسهم بمُحَمَّد و آلِ مُحمد، لا شأن لي بهم، أتباعهم أصحابهم يُقدّسونهم ذلك أمر آخر، أنا لا أتحدَّثُ هنا في شأنٍ بشريٍ عادي، أنا أتحدَّثُ في شؤونٍ إلهيّةٍ عُظمى، لنَ يكونَ المؤمن مؤمناً حتَّى يرى الخلقَ إلى اللهِ كالأباعر، وبعدَ ذلك يعودُ إلى نفسه فيراها دون ذلك، هذه الثقافة الَّتي ثُقِّفنا عليها في أجواء العترة الطاهرة.

المثالُ الَّذي جئتكم به فيما يرتبطُ باسم الصَّادق تلاحظون أنَّكم تستطيعون أن تُميّزوا في استعماله من دون قاعدةٍ أو ضابطةٍ لُغويّة لماذا؟ لأنَّ القرائن الَّتي على أساسها تُميّزُ المعاني موجودةٌ في الثقافة الشيعيّة العامّة، ما حُجِبَ هذا الموضوع، فهناك من القرائنِ التاريخيّة، هناك من القرائن الأدبيّة، هناك من القرائن العقائديّة، الثقافةُ الشيعيَّةُ المنتشرة في الوسط الشيعي العام، حينما طالبتكم ولا زلتُ أُطالبكم - ليس أمراً منّي إنَّما هي نصيحةٌ، نصيحةٌ لكم - أن تحرّكوا باتجاه تشكيل تيارٍ فكريٍ مجتمعي عقائدي، هو الَّذي سينفعكم في هذا الأمر، الدينُ يُخاطبُ العقل، يُخاطبُ عقلي وعقلكم، من هنا نستطيعُ أن نُحصّل العقيدة في مستوىً معيّنٍ من خلال القراءة، من خلال الدرس والتدريس والتعلُّم والتعليم، من خلال البحث والتحقيق، يمكننا أن نتعلَّم ما نتعلَّمَ من عقيدتنا من خلال القراءة والتعلُّم والانصات، من خلال هذا البرنامج وغيره، يمكننا أن نتعلَّم، فهذا الخطاب الديني

يُخاطبُ العقل، لكنَّ هذا لا يكفي في تحصيل العقيدة بشكلٍ كامل، فالخطابُ الدينيّ في الوقت نفسه يُخاطبُ الروح، يُخاطبُ القلب، يُخاطبُ الوجدان، ومن هنا فإنَّ العقيدةَ كي تستقرّ في القلب هي بحاجة إلى مُعاناة نفسيّة، إلى تواصلٍ روحي مع مُحمَّد وآلِ مُحمَّد كي تستقرّ العقيدةُ في القلب، تستقر العقيدةُ في العقل من خلال القراءة والدراسة والإنصات والتدبُّر والبحث والتحقيق، لكنَّها لا تستقرّ في القلب، تحتاجُ إلى خطابٍ آخر إلى خطابٍ وجداني يُدخلُ العقيدة إلى القلب، وكذلك نحتاجُ إلى خطابٍ يُوجَّهُ إلى الأُمَّة، فالخطابُ الَّذي يُوجَّهُ إلى العقل يُوجّهُ إلى العقل الفردي، والخطابُ الَّذي يُوجَّهُ إلى القلب يُوجَّهُ إلى القلب الفردي، إلى عقلي أنا، إلى قلبي أنا، وهناك خطابٌ يُوجَّهُ للأُمَّة يُوجَّهُ إلى وجدان الأُمَّة، إلى الروح الكبيرة للأُمَّة، هذا الخطابُ هو الَّذي ينشرُ الثقافة العامَّة ، هذا هو الَّذي نفتقدهُ، لأنَّ هذا الموضوع لم يكن جزءاً من الثقافة العامَّة، بالضبط كما هو الحديثُ عن النيّة الَّتي حدَّثتكم عنها، كما هو الحديثُ عن التوجّه، عن التوجّه في العبادة، لم يكن شيئاً متوفِّراً في الثقافة العامَّة، أنتم لا تستغربون أن تتوجَّهوا إلى القبلة بأبدانكم، تتوجَّهون إلى أحجار، وإذا كنتم في المسجد الحرام نفسه فأنتم في مواجهة الأحجار مباشرةً، تتوجّهونَ إلى أحجار لكنَّكم لا تُثيرونَ إشكالاً من أنَّكم رُبّما تقعونَ في الشرك، مع أنَّكم لا تستحضرون الله في أذهانكم، تتوجهون إلى الأحجار وإلى اللا شيء، لماذا؟ لأنَّ هذه المفردات هي جزءٌ من الثقافة العامَّة للأُمَّة، فلا تجدونَ إشكالاً في ذلك، وهذه النيَّةُ الغريبةُ الخرقاء الَّتي هي فبركةٌ شيطانيّةٌ: "أُصلّي صلاة الصبح قربةً إلى الله"، هذه النيَّةُ المضحكةُ هذه تعتبرونها جزءاً من دينكم، مع أنَّهُ ليس هناك من عينٍ ولا أثر لها لا في القُرآن ولا في حديث العترة، النيّة الَّتي جئتكم بها جئتكم بها من مضمونِ قُرآنهم ومن مضمون حديثهم، ونقلتها لكم نصّاً من حديثهم من رواياتهم، ومن كُتبنا القديمة الأصليّة الَّتي لا نشكُّ فيها، على الأقلِ بالنسبة لي، تستغربونها ورُبّما لا تستطيعون أن تُؤدّوها، لماذا؟ لأنَّها لم تكن جزءاً من الثقافة العامَّة، من هنا جاءت الخطاباتُ الدينيّةُ في كثيرٍ منها موجَّهةً إلى الأُمَّة، لأجل أن تكون الثقافةُ ثقافةً عامّة، لأنَّ العقائد لا تُصنَعُ في الجو الخاص، العقائدُ تُعلَمُ في الجو الخاص، يمكنني أن أعلم عقيدتي من خلال عقلي، أن أتلامس معها بدرجة وأخرى من خلال قلبي، لكنَّ الَّذي يركِّزها حتَّى تكون بديهيّةً الأجواء العامَّة، أجواء الثقافة العامَّة.

لهذا السَبب منذُ أربعين سنة وأنا أصر على هذه المفردة: (من أنَّنا بحاجة إلى تغيير العقل الشيعي)، ومنذُ أربعين سنة صدِّقوني ورُبَّما أكثر أُخطِّطُ لتغيير العقل الشيعي، رُبَّما نجحتُ بشكلٍ جزئي في جهة مُعيّنة في طبقة مُعيّنة من واقعنا الشيعي من أولئك الَّذين يتذوَّقون هذا الطرح وهذا الفكر، المشكلةُ هنا حينما يتغيَّر العقلُ الشيعيّ وفقاً لمفردات ثقافة العترة الطاهرة فإنَّ الثقافة الصحيحة ستكونُ مُنتشرةً، وحينئذٍ لا يُطرَحُ مثلُ هذا السؤال، لماذا لم يُطرَح سؤالٌ بخصوص اسم الصَّادق؟ فهو من أسماء الله، ومن أسماء مُحَمَّد، ومن أسماء الأئمَّة جميعاً، لماذا نستطيعُ أن نُميّز في كُلِّ تلك الاستعمالات؟ لماذا لم يُطرح سؤالٌ بهذا الخصوص؟ وهذا يمكنكم أن تُعمِّموه على سائر المصطلحات والعناوين والمفردات الَّتي هي شائعةٌ في الثقافة الشيعيّة العامَّة، لكن حينما تُعزَلُ الحقائق وتُطمَس و تُطمَر يُطرَحُ مثلُ هذا السؤال وللأسف ليس هناك من قاعدة أو ضابطة لغوية، لأنَّنا نتحدَّثُ عن عقيدة غيبيّة.

لكنَّني يمكنني أن أقول للسائل : من خلال الأحاديث التفسيريّة يمكننا أن نُشخِّص جانباً من هذه المضامين، من هذه الإطلاقات، من إطلاق هذه اللفظة المقدَّسة على الذات الأولى، على الحقيقة المُحَمَّديَّة، على الإمام المعصوم، من خلال الأحاديث التفسيريّة، ومن خلال القرائن المقاليةِ أو الحاليةِ في السياق القُرآني أو في السياق الحديثي، لكنَّ هذا لا يُشكِّلُ قاعدةً أو ضابطةً كُليّةً في كُلِّ الأوقات، مُشكلتنا هو في عدم وُجود ثقافة عامَّة، هذه الحقائق غُيبت، غيبها سرابيتُ النَّجف، كما يصفهم صاحب الأمر (بالسَّباريت منَ الإيمان) ، سباريتٌ من الإيمان، لا إيمان لهم، لماذا؟ لأنَّهم نبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظُهورهم كأنَّهم لا يَعلَمون ، في الرسالة الثانية الَّتي بعث بها صاحب الأمر للشيخ المفيد وصفهم وصف هؤلاء بالسَّباريت، بالسَّباريت من الإيمان، في لهجتنا الشعبية العراقية يعني السرابيت، حينما أصفهم بالسرابيت إنَّني جئت بهذا الوصف من إمام زماننا هو الَّذي وصفهم بالسَّباريت من الإيمان.

السؤالُ الثاني.

السائلُ يسألُ وفي الحقيقة هي سائلةٌ، الأختُ الفاضلةُ تسألُ: هل هناك في ثقافة العترة الطاهرة من برنامج للسير والسلوك وتهذيب النَّفس مثلما هو عند الصوفية، عند العرفاء؟ وهل البرنامجُ الَّذي عند عُرفاء الشيعة في هذا الخصوص هو برنامجٌ مأخوذٌ من العترة الطاهرة؟

سأُجيبُ إجابةً وجيزةً مختصرة: برامجُ الصوفيّة من النَّواصب أو من الشيعة، برامجُ العرفانيين من النَّواصب أو من الشيعة لا علاقة لها ببرنامج السير والسلوك والتهذيب عند العترة الطاهرة، هذا موضوعٌ أجنبيٌ عن هذا الموضوع.

أمّا هل هناك من برنامج في أجواء ثقافة العترة الطاهرة؟ نعم هناك برنامجٌ ذهبيٌّ، لو وجدتُ فرصةً فإنَّني سأطرحُ هذا البرنامج، منذُ زمنٍ بعيد وأنا أبحثُ عن وقت مناسب كي أُحدِّثكم بمثل هذا الموضوع، لكنَّني ما وجدتُ وقتاً مناسباً لذلك، وصدِّقوني وأقولُ للأخت الفاضلة صاحبة السؤال صدِّقيني فإنَّك ستجدين عجباً عُجاباً في برنامج العترة الطاهرة، هو موجودٌ في قُرآنهم المفسَّر بتفسيرهم، وفي أحاديثهم المفهَّمة بتفهيمهم، هو موجودٌ في طوايا أدعيتهم وزياراتهم الشريفة، مثلما استخرجتُ لكم مضامين شؤون عقيدة التوحيد من قُرآنهم وحديثهم فإنَّني إذا ما سنحت لي فرصةٌ سأستخرج برنامج السير والسلوك والتهذيب من قُرآنهم المفسَّر بتفسيرهم ومن حديثهم وأدعيتهم وزياراتهم بحسب قواعد تفهيمهم صلواتُ الله عليهم.